مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦ / العدد ١

الحروب الداخلية للمسلمين وتأثيرها على الأندلس قبل السقوط

م.م حيدر قاسم حاتم

جامعة ميسان / كلية التربية الاساسية

البريد الإلكتروني Email : ahmefshreef1@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الأندلس، الحروب الداخلية، ملوك الطوائف، سقوط الأندلس، المسلمين.

كيفية اقتباس البحث

حاتم، حيدر قاسم، الحروب الداخلية للمسلمين وتأثيرها على الأندلس قبل السقوط، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، كانون الثاني ٢٠٢٦،المجلد:١٦ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

Registered مسجلة في
ROAD

Indexed مفهرسة في
IASJ

Internal wars among Muslims and their impact on Andalusia before its fall

Assistant Lecturer Haider Qasim Hatem
University of Maysan College of Basic Aducation

Keywords : Al-Andalus, internal wars, Taifa kings, fall of Al-Andalus.

How To Cite This Article
Hatem, Haider Qasim, Internal wars among Muslims and their impact on Andalusia before its fall, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, January 2026,Volume:16,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/
CC BY NC ND
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study examines the internal wars among Muslims in al-Andalus and the political, military, and social consequences that weakened the Islamic entity there and paved the way for its downfall. The conflicts between the taifa kingdoms, the struggle for power, and alliances with the Christian kingdoms constituted major factors that accelerated the collapse of internal unity and led to the loss of the military and political strength that had once protected al-Andalus from external threats. The research also highlights the repercussions of these divisions on Andalusian society, including the fragmentation of the social fabric, the decline of trust in rulers, and the growing foreign interventions. It further focuses on the role played by the Christian kingdoms in exploiting these conflicts to expand their influence at the expense of Muslims. The study concludes that the internal wars were not merely incidental events, but rather the decisive factor that undermined the political and military structure of al-Andalus and opened the way for its final fall at the end of the fifteenth century.

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة الحروب الداخلية بين المسلمين في الأندلس وما خلّفته من نتائج سياسية وعسكرية واجتماعية أسهمت في إضعاف الكيان الإسلامي هناك ومهّدت الطريق لسقوطه. فقد شكّلت الصراعات بين الطوائف، والتنافس على السلطة، والتحالفات مع الممالك المسيحية، عوامل رئيسة عجّلت بانهيار الوحدة الداخلية، وأدّت إلى فقدان القوة العسكرية والسياسية التي كانت تحمي الأندلس من الأخطار الخارجية. كما يُبرز البحث انعكاسات هذه الانقسامات على المجتمع الأندلسي، من تفكك النسيج الاجتماعي، وتراجع الثقة بالحكام، وتنامي التدخلات الأجنبية. ويركّز كذلك على الدور الذي لعبته الممالك المسيحية في استغلال تلك الخلافات لتعزيز نفوذها، حتى تحقق لها التوسع على حساب المسلمين. ويخلص البحث إلى أن الحروب الداخلية لم تكن مجرد أحداث عابرة، بل كانت العامل الحاسم الذي أضعف البنية السياسية والعسكرية للأندلس، وفتح المجال أمام السقوط النهائي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

مقدمة

شهد التاريخ الإسلامي في الأندلس صفحات مشرقة من الازدهار الحضاري، والتفوق العلمي، والإنجازات الإدارية والعسكرية التي جعلت من الدولة الإسلامية هناك نموذجًا فريدًا في التعايش والتعدد والتفوق، خاصة خلال العصور الذهبية للخلافة الأموية. غير أن هذه الصورة المشرقة لم تدم، إذ سرعان ما عصفت بالأندلس صراعات داخلية بين القوى السياسية الإسلامية، تحوّلت من خلافات في الرأي والمصالح إلى **حروب مدمّرة بين ملوك الطوائف**، كانت نتيجتها المباشرة **تفكك الجبهة الإسلامية، وإضعاف البنية السياسية والعسكرية، وفتح المجال واسعًا لتدخل الممالك المسيحية الشمالية**، حتى أُسدل الستار على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

تُعدّ الحروب الداخلية التي اندلعت في الأندلس بين ملوك الطوائف في القرنين الخامس والسادس الهجريين أحد أبرز أسباب السقوط؛ إذ أدّت إلى **تمزق الوحدة الإسلامية، واستنزاف القدرات الذاتية، وتحالف بعض المسلمين مع أعدائهم النصارى ضد إخوانهم المسلمين**، مما عجّل من وتيرة الانهيار وفقدان المدن الكبرى الواحدة تلو الأخرى، بدءًا من طليطلة، وصولًا إلى غرناطة.

وينطلق هذا البحث من **فرضية محورية** مفادها أن الانقسام الداخلي – سياسيًا وعسكريًا ودينيًا – هو العامل الأهم في سقوط الأندلس، أكثر من كونه نتيجة لتفوق خارجي صرف. وعليه، يهدف البحث إلى **تحليل طبيعة هذه الصراعات الداخلية، ورصد أبرز نتائجها، واستخلاص العِبر التاريخية من هذه التجربة الحضارية المؤلمة.**

ويتوزع البحث على ثلاثة مباحث رئيسية:

يتناول المبحث الأول :**أسباب الحروب الداخلية في الأندلس**، من خلال استعراض نشوء ممالك الطوائف، والتدخلات الخارجية، والتحالفات السياسية التي عقدها الأمراء مع القوى المسيحية.

•ويناقش المبحث الثاني :**النتائج المباشرة وغير المباشرة لهذه الصراعات**، خاصة في الجوانب العسكرية والسياسية، وسقوط المدن الإسلامية الكبرى، والاستغلال المسيحي لحالة الانقسام.

•أما المبحث الثالث، فيسلط الضوء على **الدروس المستفادة من تلك الحقبة**، مركزًا على أهمية الوحدة الإسلامية، ودور العلماء والمصلحين في مواجهة هذا التشرذم.

إن دراسة هذه المرحلة من تاريخ الأندلس لا تقتصر على فهم ما حدث، بل تتجاوز ذلك إلى **إدراك ما يمكن أن يحدث إذا تكررت نفس الأخطاء في حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها**؛ فهي ليست رواية للماضي فحسب، بل تنبيهٌ للمستقبل وتحذير من عواقب الانقسام، وتذكير بقيمة الوحدة والقيادة الرشيدة في بقاء الدول واستمرار الحضارات.

المبحث الأول

الحروب الداخلية في الأندلس وأسبابها

أولاً: نشأة ممالك الطوائف بعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة

تُعد سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م لحظة فاصلة في التاريخ السياسي للأندلس، إذ شهدت سقوط الخلافة الأموية في قرطبة، وانهيار الدولة المركزية التي ظلت تمثل – على امتداد أكثر من ثلاثة قرون – محورًا لوحدة المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية. وقد ترتب على هذا السقوط نشوء فراغ سياسي واسع، استغله زعماء المدن والأقاليم للاستقلال الذاتي، فظهرت كيانات محلية متعددة، عُرفت فيما بعد باسم "**ممالك الطوائف** ("ابن عذاري، ١٩٩٥، ص٨٩).

وقد بلغ عدد هذه الممالك في بعض الفترات ما يزيد عن العشرين، من بينها: مملكة بني عباد في إشبيلية، وبني ذي النون في طليطلة، وبني الأفطس في بطليوس، وبني الأحمر في

غرناطة، وبني صمادح في المرية، وبني هود في سرقسطة، وغيرهم (الحميدي، ١٩٦٦، ص٩٧).

وتعود هذه الكثرة إلى تحلل النظام المركزي وضعف الانضباط السياسي بعد سقوط الحكم الأموي، وغياب آلية شرعية موحدة تنتظم الحكم والسلطة، مما شجع القادة المحليين على التمرد، وفرض سيطرتهم وفق موازين القوة والولاء.

وقد كانت هذه الممالك قائمة على أساس عرقي وقَبَلي ومناطقي، فبعضها كان بقيادة عرب قحطانيين، وبعضها بقيادة بربر أو موالي فارسيين، وهو ما عمّق النزاعات الداخلية لاحقًا (الزركلي، ١٩٨٠، ص٢٩٨).

كما تميزت كل مملكة بطابع ثقافي واقتصادي مستقل، ما زاد من ترسيخ الانفصال عن مشروع الوحدة الإسلامية الكبرى التي سادت في عهد الخلافة.

ويمكن فهم هذا التحول السياسي من خلال ما أشار إليه **ابن خلدون** بقوله: "إذا فنيت العصبية القوية التي تقوم عليها الدولة، تفككت أجزاؤها، وتفرقت شعوبها، وأصبح كل جزء يسعى للاستقلال بذاته، وتكثر الإمارات حتى تكون علامة على قرب الانهيار" (ابن خلدون، ٢٠٠٥، ص٢٧٣)

وما يُلفت النظر أن نشأة ممالك الطوائف لم تكن تعبيرًا عن تطور سياسي طبيعي أو دستوري، بل كانت نتيجة اضطرارية لتفكك الدولة، وانعدام البديل، ما جعل الحكم فيها يقوم على الغلبة والقوة، دون مرجعية شرعية موحدة. وقد صوّر **ابن حيان الأندلسي** هذا الواقع بقوله: "تفرّق الناس شيعًا وأحزابًا، وتعددت الأهواء والولاءات، وأصبح كل حاكم يرى نفسه سلطانًا مطلقًا في رقعة صغيرة من الأرض" (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص١١٣).

وأدى هذا التفتت إلى ضعف شامل في قدرات المسلمين، فقد تم تقويض مؤسسات الدولة الكبرى، كديوان الجند، والخراج، والبريد، وحل محلها تنظيم محلي هش يعتمد على الولاءات الشخصية والمرتزقة. كما فقدت الأندلس مشروعها السياسي والحضاري الواحد، وتحولت إلى ساحة صراع بين طامحين لا يجمعهم سوى التنافس على السيادة، ما مهّد الطريق لتدخل القوى المسيحية الشمالية (ابن خلكان، ١٩٧٢، ج٢، ص١١٩).

وقد اجتمعت على ممالك الطوائف عدة عوامل ضعف، أبرزها:

- غياب التنسيق العسكري والدفاعي المشترك.
- ضعف الموارد الاقتصادية بسبب الإنفاق المفرط في التحصينات والترف.
- احتدام الصراع بين العرب والبربر والموالي.

•التنازع على شرعية الحكم بين البيوتات المختلفة.
•غياب مؤسسة جامعة مثل الخلافة أو الإمامة.

ومن ثمّ، فإن نشوء ممالك الطوائف، بالرغم من بعض مظاهر الازدهار الفني والثقافي فيها، يُعد بداية فعلية لانحدار الأندلس، وهو ما عبّر عنه المؤرخون اللاحقون بأسف شديد.

أبرز النزاعات بين أمراء الطوائف وتأثيرها على وحدة المسلمين

من السمات البارزة لمرحلة الطوائف في الأندلس أنها كانت مرحلة صراعات داخلية دائمة، يغلب عليها طابع التنافس السياسي والديني والمناطقي بين ملوك الطوائف، لا سيما بين القوى الكبرى مثل بني عباد في إشبيلية، وبني ذي النون في طليطلة، وبني الأفطس في بطليوس، وبني هود في سرقسطة. وكان هذا التنافس يشتدّ أحيانًا إلى درجة الاحتراب العسكري المباشر، والاغتيالات، وإثارة الفتن داخل المدن، ما سبّب حالة من الانقسام الداخلي، وأثر سلبًا على وحدة المسلمين سياسيًا وعسكريًا (ابن عذاري، ١٩٩٥، ص٩١)

وقد كان طموح كل أمير يتمثل في توسيع نطاق نفوذه على حساب الأمراء الآخرين، حتى ولو أدى ذلك إلى خراب المدن، أو التعاون مع أعداء الأمة. ومن أبرز تلك النزاعات، ما حدث بين بني عباد في إشبيلية وبني ذي النون في طليطلة، حيث انطلقت سلسلة من المعارك والمراسلات العدائية بين الطرفين منذ منتصف القرن الخامس الهجري، بلغت ذروتها عندما استعان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية بملك قشتالة النصراني ألفونسو السادس ضد خصومه في طليطلة، وذلك مقابل دفع الجزية وتمكينه من بعض الحصون (ابن بسام، ٢٠٠٣، ج٢، ص١٤٥)

لم يكن هذا النزاع الوحيد، فقد نشبت أيضًا صراعات ضارية بين بني الأفطس في بطليوس وبني عباد، وكذلك بين بني صمادح في المرية وبني زيري في غرناطة. وقد استمرت هذه الحروب لأعوام طويلة، استُنزفت خلالها الجيوش الإسلامية، وتقلّص فيها عدد المجاهدين، وانشغلت القيادات بالأطماع الشخصية، بدلًا من التنسيق لمواجهة خطر الاسترداد النصراني المتصاعد (ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٨، ص٣٥٠)

ويُلاحظ أن هذه النزاعات لم تقتصر على المعارك فقط، بل امتدت إلى **حرب إعلامية ودينية**، حيث عمد كل طرف إلى الطعن في شرعية الطرف الآخر، واتهامه بالابتداع أو الخروج عن منهج الخلافة، ما أفرز انقسامًا حتى في ولاء العامة والعلماء، وأدى إلى تدهور هيبة الحكام في أعين شعوبهم (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص٢٢٣).

كما أدى هذا التنازع إلى **تفكيك البنية العسكرية المشتركة**، فبدلًا من وجود جيش موحد كما في عهد الخلافة، أصبح لكل طائفة جيش خاص بها، يعتمد غالبًا على المرتزقة والبربر والمماليك، ويقاتل لصالح الحاكم فقط. وهذا ما جعل الثقة مفقودة بين الجنود والقادة، وظهرت الخيانات المتكررة داخل ساحات القتال، وهو ما سهّل على الممالك المسيحية التقدم في عمق الأراضي الإسلامية (ابن خلدون، ٢٠٠٥، ص٢٧٥).

وقد وصف **المقري** هذه المرحلة وصفًا دقيقًا حين قال" *:تحولت الأندلس إلى سوق للدم، كل أمير يطمع في أخيه، وكل مدينة تخشى جارتها، فمتى كانت هذه حال الأمة؟*"(المقري، ١٩٦٨، ج٢، ص١٣٤)

بل بلغ الأمر أن المعتمد بن عباد نفسه، الذي استعان بألفونسو السادس ضد خصومه، أدرك في لحظة متأخرة خطورة تلك الاستعانة، فقال مقولته المشهورة: "*رعي الجمال عند يوسف بن تاشفين خير لي من رعي الخنازير في قشتالة!*" (ابن بلقين، ١٩٨١، ص٧٨).

وهي شهادة متأخرة على خيانة الحلفاء المسيحيين الذين لم يوفوا بوعودهم، واستغلوا هذه الانقسامات لاجتياح المدن الإسلامية واحدة تلو الأخرى.

وفي خلاصة القول، فإن النزاعات بين أمراء الطوائف لم تكن مجرد اختلافات سياسية أو مناطقية، بل كانت كارثة استراتيجية أدت إلى تفتيت وحدة الأمة، وتضييع روح المقاومة، وتمهيد الطريق لسقوط الأندلس مدينة بعد مدينة، دون مقاومة حقيقية جامعة.

ثانيًا: التدخلات الخارجية بسبب الانقسامات

مع تفكك الخلافة الأموية وسقوطها في قرطبة، دخلت الأندلس في عصر الطوائف، وهو عصر عُرف بعدم الاستقرار السياسي والانقسام الحاد بين الإمارات الإسلامية، مما مكّن القوى المسيحية في الشمال من التوسع سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا على حساب المسلمين. إذ لم يكن الصراع الداخلي بين أمراء الطوائف مجرد حالة من التنافس المحلي، بل أفسح المجال لتدخل خارجي مباشر قاده ملوك قشتالة وليون وأراغون، والذين رأوا في هذا الانقسام فرصة نادرة لتحقيق أطماعهم الاستردادية في شبه الجزيرة الإيبيرية (ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٨، ص٣٤٧).

لقد أدرك ألفونسو السادس ملك قشتالة أن حالة التفتت بين ملوك الطوائف تُمكنه من الهيمنة دون خوض معارك كبرى. فبمجرد تهديد بعض الممالك الإسلامية بالغزو، كان هؤلاء الملوك يبادرون إلى دفع الجزية والرضوخ للشروط، ما عزز من مكانته وهيمنته، حتى لُقّب في

بعض المراسلات بلقب "الإمبراطور" من قبل أمراء المسلمين أنفسهم (ابن بسام، ٢٠٠٣، ج٢، ص١٥١).

وقد دفعت ممالك كبرى مثل إشبيلية، بطليوس، وبلنسية جزيات منتظمة لخزينة قشتالة، في مقابل "حماية" شكلية، غالبًا ما كانت مشروطة بولاءات سياسية وإذعان شبه كامل.

دور الكنيسة النصرانية في تغذية التدخلات

لم تكن التدخلات المسيحية في شؤون الأندلس نابعة من دوافع سياسية بحتة، بل وجدت في الكنيسة الكاثوليكية قوةً دافعةً ومحرّكةً باتجاه مشروع "الاسترداد" المسيحي للبلاد. فقد تبنّى رجال الدين النصارى خطابًا تعبويًا موجّهًا إلى الملوك والأمراء، يحثّهم على استغلال حالة التشرذم وضعف المسلمين لتوسيع الرقعة المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية. وكانت الكنائس تُضفي على الحملات العسكرية صفة القداسة، إذ منحت صكوك الغفران للفرسان المشاركين في غزوات الجنوب، معتبرةً إياها "حروبًا مقدسة" تهدف إلى تطهير الأرض من سيطرة المسلمين (السلاوي، ١٩٦٠، ج١، ص. ٢١٢)

ولم يقتصر دور الكنيسة على التحريض الروحي فقط، بل شاركت الأديرة والبابوية في روما في دعم هذه الحملات سياسيًا وماليًا، حيث كان يُنظر إلى المسلمين في الأندلس على أنهم خصوم حضاريون ودينيون ينبغي القضاء عليهم وإقصاؤهم من شبه الجزيرة. ومن هنا، أصبح تدخل الممالك المسيحية في شؤون الطوائف الإسلامية مشروعًا يحمل بُعدًا دينيًا ومبررًا أخلاقيًا في نظر العامة، إلى جانب كونه هدفًا سياسيًا واستراتيجيًا (الزركلي، ٢٠٠٢، ج٥، ص. ٤١؛ المقري، ١٩٨٨، ج٢، ص. ٣١٧؛ عبد الواحد، ١٩٨٤، ص. ٩٥)

مظاهر الخضوع والتبعية السياسية لملوك النصارى

في ظل الضغط الخارجي المتزايد، اضطر عدد من ملوك الطوائف إلى القبول بشروط مهينة سياسيًا، فارتضوا بدفع الجزية مقابل بقائهم على عروشهم. وكانت هذه الجزية باهظة للغاية، إذ بلغت في حالة إشبيلية ثلاثين ألف دينار ذهبي سنويًا، وهو مبلغ ضخم ينهك خزائن الدولة الإسلامية ويقوّي في الوقت نفسه أعداءها (ابن عذاري، ١٩٩٥، ص. ١٠٩). وكان الملك القشتالي ألفونسو السادس يتلقى هذه الأموال بتفاخر، ويوظفها في تمويل حملاته العسكرية ضد بقية الممالك الإسلامية، في مشهد يعكس كيف تحولت ثروات المسلمين إلى أداة في صناعة هزيمتهم (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص. ٢٣٣)

ويصف المؤرخ ابن حيان هذا الوضع بقوله: "لم يبقَ للأمراء من أمرهم شيء، بل صاروا خدماً للنصارى، يُعطونهم من المال ما يرضيهم، ويصانعونهم بالرأي والمشورة، ويتركون الأمة تُذلّ وتسحق" (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص. ٢٣٣). ومن صور التدخل المسيحي كذلك، أن ألفونسو لم يكتفِ بتحصيل الأموال بل كان يتدخل مباشرة في شؤون الطوائف، فيفرض شروط التحالفات ويحدد من له الحق في حكم مدينة بعينها، بل ويتدخل أحيانًا لفض النزاعات بين الأمراء. وقد عبّر المقري عن هذه الحال قائلاً: "صار ملوك المسلمين يُخاطبون النصارى بكتب التذلل، ويطلبون رضاهم كما يطلب العبد رضا سيده، حتى غدت السيادة لأعدائهم، وهم أذنابٌ وتوابع" (المقري، ١٩٦٨، ج٢، ص. ١٢٢؛ عبد الواحد، ١٩٨٤، ص. ١١٢؛ عنان، ١٩٩٧، ص. ٢١١).

نتائج هذا التدخل على السيادة الإسلامية

إن أخطر ما في التدخلات المسيحية أن ملوك الطوائف لم يروا فيها خرقًا للسيادة، بل اعتبروها وسيلةً لبقائهم في الحكم، حتى وإن كان ذلك على حساب وحدة الأمة. وقد أدى هذا الموقف إلى ضياع مفهوم الاستقلال السياسي وتآكل فكرة الدولة الإسلامية الجامعة، كما تحوّل بعض هؤلاء الملوك إلى أدوات في يد القشتاليين، يستعملونهم في ضرب إخوتهم المسلمين في مدن مثل بلنسية ومرسية وقرطبة (ابن الأثير، ١٩٨٧، ج٨، ص. ٢١٢).

كما أن استمرار هذه التدخلات زرع بذور الانقسام داخل المجتمعات الإسلامية، إذ تراجعت الثقة بالحكام، وبدأت حركات المقاومة الشعبية تنشط في الأطراف بوصفها رد فعل على ما رآه الناس خيانةً وتحالفًا مع الأعداء (الحميري، ١٩٩٨، ص. ٣٣٢؛ ليفي بروفنسال، ١٩٦٥، ص. ١٨٧؛ كولان، ١٩٩٢، ص. ٩٤)

استعانة بعض الطوائف بالقوى المسيحية ضد خصومهم المسلمين

في ذروة الانقسام السياسي بين ملوك الطوائف، لم يكتفِ الأمراء المسلمون بدفع الجزية والرضوخ للابتزاز النصراني، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، حين **تحالفوا عسكريًا مع الممالك المسيحية** ضد إخوتهم المسلمين. وقد شكّل هذا التحالف تحولًا جذريًا في مفهوم "الولاء" و"العدو"، إذ أضحى عدو الأمس شريك اليوم، وأُهدر بذلك مبدأ التضامن الإسلامي في سبيل الحفاظ على السلطة والنفوذ (ابن عذاري، ١٩٩٥، ص١٠٩).

ومن أبرز الأمثلة على هذه الاستعانة، ما أقدم عليه **يحيى بن ذي النون**، أمير طليطلة، حينما استنجد بملك قشتالة **ألفونسو السادس**، لمساعدته على تثبيت حكمه ضد خصومه من الطوائف المجاورة. وبموجب هذا التحالف، سُمح للقوات القشتالية بالتواجد في محيط طليطلة،

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 1
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

ودخلت المدينة تدريجيًا في دائرة النفوذ النصراني، إلى أن سقطت بالكامل سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، في سابقة خطيرة كانت مقدّمة لسقوط مدن كبرى أخرى (ابن خلكان، ١٩٧٢، ج٢، ص١٤٩)

ويُعدّ هذا التصرف خيانة صريحة، ليس فقط من المنظور الديني، وإنما من الزاوية السياسية والاستراتيجية أيضًا، إذ تم فتح الطريق أمام جيوش العدو لتطوّق المدن الإسلامية من الداخل، بل وتتعرف على تضاريسها الدفاعية، ومنافذها، ومواقع ضعفها، مما سهّل مهمة الاسترداد المسيحي لاحقًا (ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٨، ص٣٥١).

ولم تكن طليطلة المثال الوحيد، فقد أقدم **عبد الله بن بلقين**، أمير غرناطة من بني زيري، على التماس الدعم من مملكة أراغون ضد خصمه في المرية. وفي مذكراته السياسية أقرّ بذلك صراحة، معترفًا بأن الأمراء حينها لم يعد لديهم رادع ديني أو وطني، بل كانت غايتهم الحفاظ على الحكم بأي ثمن (ابن بلقين، ١٩٨١، ص٧٥)

تحليل شرعي وسياسي لموقف العلماء من هذه التحالفات

لاقى هذا الانحراف في السياسة الخارجية انتقادًا واسعًا من قبل **علماء الأندلس وفقهائها**، إذ اعتبروا التحالف مع النصارى ضد المسلمين خيانة كبرى. وقد نقل المؤرخ **ابن حيان الأندلسي** وصفًا بالغًا لما آل إليه حال الطوائف، فقال: *"تناحروا وتخاذلوا، وطلبوا النصر من أعدائهم، فما رُفع لهم راية، ولا سلمت لهم ديار"* (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص٢٣٣)

وقد صدرت فتاوى من بعض علماء المالكية تحرّم الاستعانة بعدو العقيدة ضد المسلم، مهما بلغت الخلافات السياسية، إلا أن هذه الفتاوى لم تجد طريقها للتنفيذ، في ظل غلبة نزعة البقاء السياسي لدى الملوك، على حساب أي مرجعية دينية أو خلقية (ابن خلدون، ٢٠٠٥، ص٢٧٦).

ويشير **المقري** إلى أن بعض الحكّام، في محاولة لتبرير تصرفاتهم، ادّعوا أن الاستعانة بالنصارى كانت "أهون الضررين"، وأنهم لم يجدوا من بين الطوائف من يعينهم، إلا أن النتائج أثبتت أن هذا التبرير كان مغالطة كارثية، أودت بالأندلس إلى الهلاك (المقري، ١٩٦٨، ج٢، ص١٣٤).

انعكاسات هذه التحالفات على المجتمع الأندلسي

لم يكن المجتمع الأندلسي بمعزل عن هذه الأحداث، فقد عاش حالة من **الاضطراب النفسي والانقسام الداخلي** .إذ رأى المسلمون البسطاء كيف يفتح أمراؤهم أبواب المدن لأعداء الأمة، بينما يضطهدون خصومهم من المسلمين. وقد انعكس ذلك على الروح المعنوية للشعوب،

فتراجعت الثقة بالحكم، وانتشرت الدعوات السرية لمقاومة هذه التحالفات، بل وظهرت في بعض المناطق حركات رفض شعبية داخل صفوف الجنود (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص٢٣٥).

وكان لسقوط **طليطلة** وقع الصدمة على المسلمين، فقد كانت من أكبر المدن الإسلامية، وسقوطها جاء بعد خيانة داخلية لا بعد هزيمة في ميدان الحرب، وهو ما شكّل بداية لانهيار التوازن بين المسلمين والمسيحيين في شبه الجزيرة (ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٨، ص٣٥٢)

ثالثاً: تأثير التحالفات مع الممالك النصرانية على ضعف المسلمين

لم تكن تحالفات ملوك الطوائف مع القوى النصرانية مجرد خيارات دبلوماسية تحت ضغط اللحظة، بل كانت نقطة تحول حاسمة أدّت إلى **تفكيك الهيكل السياسي والديني للمجتمع الأندلسي الإسلامي**، وساهمت بصورة مباشرة في سقوط مدن رئيسية، وذوبان مفهوم الأمة الجامعة.

لقد دخل ملوك الطوائف في تحالفات عسكرية صريحة مع ملوك قشتالة وليون وأراغون، ليس فقط لدفع الجزية، بل **للاستعانة المباشرة بالقوة العسكرية النصرانية ضد إخوانهم المسلمين**، كما فعل يحيى بن ذي النون مع ألفونسو السادس، الذي مهد له الطريق للاستيلاء على طليطلة، كبرى مدن الأندلس، سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م (ابن عذاري، ١٩٩٥، ص١١٥؛ ابن خلكان، ١٩٧٢، ج٢، ص١٥٠)

وهذا التحالف لم يكن منفردًا، فقد كرره **المعتمد بن عباد**، ملك إشبيلية، حين استعان بألفونسو نفسه ضد بني الأفطس في بطليوس، لكنه انتهى لاحقًا أسيرًا عند المرابطين بعدما أدرك متأخرًا خطورة تحالفه مع النصارى، وقال عبارته الشهيرة" :رعي الجمال عند يوسف بن تاشفين أحب إلي من رعي الخنازير عند ألفونسو" (المقري، ١٩٦٨، ج٢، ص١٨٨؛ ابن الأبار، ١٩٩٥، ص٢٢٢)

وكان لهذه التحالفات آثار بعيدة المدى:

- **تفكك الجبهة الإسلامية المشتركة**، إذ أصبح كل جيش يخدم مصالح أميره لا مصالح الأمة؛
- **هيمنة سياسية نصرانية على قرارات الطوائف**، حيث أصبح ملوك قشتالة يفرضون تعيين حكام على مدن مسلمة كما في قرطبة وبلنسية (ابن بسام، ٢٠٠٣، ج٢، ص١٥٣)
- **تراجع دور العلماء** الذين عجزوا عن منع هذه السياسات، رغم اعتراضاتهم القوية كما نُقل عن أبي بكر بن العربي حين قال" :باعوا الأندلس دراهم معدودة، فخسروها دنيا ودينًا) "ابن العربي، ٢٠٠٣، ص١٠٤)

ويُشير ابن حيان إلى أن المسلمين في بعض المدن بدأوا يرون في الأمراء عبئًا لا سندًا، بعد أن فتحوا الحصون للنصارى، وانهارت القلاع ليس تحت السيوف، بل تحت التحالف والخيانة (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص٢٣٥).

حتى المؤرخين المعاصرين مثل **القلقشندي** في كتابه صبح الأعشى، أشار إلى أن ملوك الطوائف قدموا معلومات عن تحصينات مدنهم للنصارى مقابل الحفاظ على عروشهم، وهو ما يعبّر عن انعدام أي إحساس بالسيادة أو بالولاء العام (القلقشندي، ١٩١٣، ج٤، ص١١٥).

ويجمع المؤرخون أن هذا النمط من التحالفات أنهك الأندلس داخليًا، وأفقدها هيبتها خارجيًا، وسرّع من موجة الاسترداد النصراني، حيث أصبحت الممالك المسيحية تقاتل على أرض مهيأة سياسياً ونفسيًا واجتماعيًا للهزيمة (ابن الخطيب، ٢٠٠٤، ص٢١٤).

المبحث الثاني

نتائج الحروب الداخلية وتأثيرها على سقوط الأندلس

أولًا: إضعاف القوة العسكرية والسياسية

١. تفكك الجيوش الإسلامية بسبب الحروب الداخلية

مثّل تفكك الجيوش الإسلامية في عصر الطوائف أحد أكثر العوامل خطورة في إضعاف الكيان الأندلسي، وتركه بلا قدرة حقيقية على الصمود أمام المدّ المسيحي. ففي عهد الخلافة الأموية، كان الجيش الأندلسي منظّمًا تنظيما مركزيًا، يتمركز في قرطبة، وتربطه قيادة موحدة وتدريب مستقر، ويُموّل من بيت المال المركزي للدولة (ابن عذاري، ١٩٩٥، ص١١٦).

أما في مرحلة الطوائف، فقد تشرذمت الجيوش إلى فرق متنازعة، تتبع ولاءاتها الشخصية للأمراء، ويقاتل بعضها ضد البعض الآخر.

تحولت الجيوش من مؤسسة وطنية إلى مليشيات مرتبطة بالحاكم، تعتمد على الولاء الشخصي لا العقيدة العامة، بل إن بعض ملوك الطوائف استقدم مرتزقة من خارج الأندلس – من البربر والزنوج والمماليك – ليكوّن منهم جيشه الخاص، ضامنًا الولاء الكامل له، لكنه بذلك أهدر البنية المؤسسية للجند (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص٢١٥)

وقد وصف **ابن الأثير** حال الجيوش بقوله: *"صار جيش كل طائفة سيفًا على جيرانها، لا درعًا للمسلمين، واستُهلكت الرجال والسلاح في معارك لا نهاية لها، حتى إذا جاء العدو من الشمال، لم يجد من يردّه إلا شتات من الضعف والفرقة*(ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٨، ص٣٥٥).

ولم تكن الجيوش فقط ممزقة، بل إن الكثير من قادة الجند أنفسهم دخلوا في الصراعات السياسية، وتحولوا إلى أمراء حرب مستقلين، يتاجرون بالقوة والولاء، ويتنقلون بين الطوائف حسب

من يدفع أكثر. وهو ما أشار إليه **ابن الخطيب** بقوله: *"صارت القيادة تباع وتُشترى، والرجال أدوات للمناورة، لا جنودًا للعقيدة، حتى ضاعت هيبة السلاح)"* ابن الخطيب، ٢٠٠٤، ص٢٠٩)

كما أن الإنفاق الحربي تحول من المصلحة العامة إلى أهداف داخلية، فبدلًا من بناء الحصون وتحديث العتاد ومراكز التدريب، كان المال يُهدر على التجنيد الشخصي، وشراء الولاءات، وإقامة الاحتفالات السلطانية، وهو ما انتقده **لسان الدين بن الخطيب** في أكثر من موضع في *الإحاطة*، معتبرًا أن "ترف الطوائف كان أشد عليهم من سيوف النصارى" (ابن الخطيب، ٢٠٠٤، ص٢١٢)

٢ .ضعف القيادة وفقدان الثقة بين الأمراء والجنود

إن ضعف القيادة السياسية والعسكرية كان النتيجة الحتمية لتفكك البنية العسكرية؛ إذ لم يعد لدى الجيوش الإسلامية في الأندلس نموذج قائد موحّد أو رمز جامع، كما كان الحال في عهد عبد الرحمن الناصر أو المنصور بن أبي عامر. بل تعددت مراكز القيادة، وتفاوتت الولاءات، وكثرت الخيانات داخل وحدات الجيش، حتى أن بعض المدن سقطت بسبب انسحاب الحاميات المسلمة منها دون قتال (المقري، ١٩٦٨، ج٣، ص٨٥).

ويذكر **ابن حيان** حادثة سقوط حصن "شنت برية" عندما رفض الجنود الدفاع عنه بعد أن علموا بأن الحاكم قد فاوض ألفونسو على تسليمه مقابل ضمان بقائه في الحكم (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص٢٣٣).

مثل هذه المواقف أدّت إلى **فقدان الجندي شعوره بالانتماء العقائدي والوطني**، وتحول القتال من واجب ديني وأخلاقي إلى صراع سلطوي لا طائل من ورائه.

أما **ابن خلدون** فقد فصّل في وصف هذه الظاهرة، حيث اعتبر أن الدولة التي تفقد العصبية والقيادة الجامعة، تصبح معرضة للسقوط حتى دون هجوم مباشر، لأن "الجنود لا يثبتون في موطن فيه ارتياب، وإذا ارتابوا في أميرهم، أو في غايته، هُزموا قبل اللقاء" (ابن خلدون، ٢٠٠٥، ص٢٧٦)

وقد أورد **ابن الأبار** في *الحلة السيراء* إشارات إلى انهيار هيبة القيادة، حتى أن بعض الجند كانوا يشكّون في نوايا قادتهم، ويرفضون تنفيذ الأوامر العسكرية، خشية أن تكون مقدمة لخيانة أو تسليم الحصن للنصارى (ابن الأبار، ١٩٩٥، ص٢٤٤)

وهو ما يؤكد أن الحروب الداخلية لم تقتل فقط الجسد العسكري للأندلس، بل **كسرت الروح المعنوية، وقضت على الثقة المتبادلة بين القيادات والجنود**، فكان السقوط العسكري متوقعًا ومنطقيًا في ظل هذا المناخ المهزوز.

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 1
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

ثانيًا: التمهيد لاجتياح الممالك المسيحية

١.سقوط المدن الكبرى مثل طليطلة وتأثيرها على الأندلس

يُعدّ سقوط **طليطلة** سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م لحظةً مفصلية في تاريخ الأندلس، إذ لم يكن مجرد استيلاء عسكري على مدينة، بل **حدثًا رمزيًا واستراتيجيًا هزَّ البنية النفسية والعسكرية للمسلمين**. وطليطلة لم تكن مدينة عادية، بل كانت **عاصمة قديمة للقوط الغربيين**، ثم أصبحت إحدى أهم مراكز الثقافة الإسلامية والعلم في وسط الأندلس، وملتقى للعلماء والقضاة والأدباء.

لكن المدينة سقطت دون معركة تُذكر، وذلك نتيجة **خيانة سياسية** وتحالف سابق بين **يحيى بن ذي النون**، آخر أمراء بني ذي النون، وملك قشتالة ألفونسو السادس، حيث تم تسليم المدينة ضمن شروط لم تُحترم لاحقًا، وأُدخلت الجيوش القشتالية إلى المدينة بسلاسة، بل وقيل إن بعض أبوابها فُتحت ليلًا (ابن خلكان، ١٩٧٢، ج٢، ص١٥٠).

ويُشير **المقري** إلى أن سقوط طليطلة كان بمثابة "**النكبة العظمى**"، ليس فقط لأن المدينة سقطت، بل لأن ملوك الطوائف الآخرين أدركوا أن لا مدينة ستكون بمنأى عن المصير نفسه، وأن **التحالف مع النصارى لم يكن درعًا، بل خنجرًا في الخاصرة** (المقري، ١٩٦٨، ج٣، ص٧٧).

وقد تبع سقوط طليطلة:

- انهيار معنوي في باقي مدن الوسط الأندلسي، مثل قرطبة وبلنسية.
- اندفاع آلاف السكان المسلمين نحو الجنوب طلبًا للأمان.
- اضطراب في حركة العلماء والقضاة، إذ غادر الكثير منهم المدينة إلى غرناطة أو إشبيلية.
- استيلاء المسيحيين على مكتبات المدينة، وحرق بعضها، وترجمة بعضها الآخر في طليطلة لاحقًا (ابن الأبار، ١٩٩٥، ص٢٣٧)

وتقول الروايات إن سقوط طليطلة دفع المعتمد بن عباد إلى **الاستنجاد بالمرابطين**، بعد أن شعر بأن السقوط لم يعد محدودًا، بل أصبح **سلسلة متواصلة**، وأن مدن الطوائف لا تستطيع الصمود بمفردها، بعد أن **أجهزت على نفسها داخليًا** (ابن الأثير، ١٩٩٧، ج٨، ص٣٥٩).

٢.استغلال القشتاليين والآراغونيين لضعف المسلمين

بعد سقوط طليطلة، دخلت الممالك المسيحية، وبالأخص **قشتالة وأراغون**، مرحلة جديدة من التوسع العسكري والإداري، لكنها كانت تستند أساسًا إلى **توظيف الانقسام الداخلي بين ملوك الطوائف**، وليس إلى القوة العسكرية وحدها.

فقد أصبحت هذه الممالك:

•**تتدخل في تعيين الحكام** :كما حصل في بلنسية، حيث دعمت قشتالة أحد الطامحين للملك بعد خلافات داخلية (ابن بسام، ٢٠٠٣، ج٢، ص١٥٩).

•**تفرض شروطًا اقتصادية وسياسية** على الأمراء، من خلال الجزية أو التهديد بالحرب.

•**تتغلغل استخباراتيًا داخل المجالس السياسية للطوائف**، كما ذكر ابن الخطيب أن بعض وفود ألفونسو كانوا جواسيس يحملون معلومات دقيقة عن تحصينات وأسوار مدن الجنوب (ابن الخطيب، ٢٠٠٤، ص٢١٤)

•**تشجع حركات التمرد والانفصال** في مدن الطوائف، كما حدث في سرقسطة حين دعمت أراغون مجموعة منشقة ضد حكم بني هود.

لقد كان النصارى يديرون استراتيجيتهم عبر **استغلال كل ثغرة داخل الطوائف**، وفي الوقت الذي لم يكن فيه المسلمون قادرين على الاتفاق حتى على "رسالة استغاثة موحدة"، كانت الممالك المسيحية تبني تحالفاتها، وتعزز قوتها الاقتصادية عبر الضرائب والإتاوات، وتفتح المعابر التجارية عبر المدن التي أصبحت تحت سلطتها (السلاوي، ١٩٦٠، ج١، ص٢١٥).

ويصف **ابن خلدون** ذلك بقوله: *"ضعف الدولة لا يكون دائمًا بسبب العدو، بل حين يُعينها الضعف من الداخل، وتُفتح لها الأبواب من غير سيفٍ ولا حرب)* "ابن خلدون، ٢٠٠٥، ص٢٧٧).

بل إن بعض ملوك النصارى، مثل **ألفونسو السادس**، أصبح يُلقّب بـ"أمير المسلمين" في بعض مراسلات الطوائف، وهو ما يظهر **مدى اختلال موازين الكرامة السياسية**.

وفي هذا السياق، لا يُمكن تجاهل أن الاستغلال لم يكن فقط عسكريًا، بل **ثقافيًا وإداريًا** كذلك، إذ بدأت اللغة اللاتينية تعود إلى بعض الإدارات، وتُفرض الضرائب وفق النظم المسيحية، وجرى تحويل عدد من المساجد الكبرى إلى كنائس، مثل مسجد طليطلة الجامع (ابن الخطيب، ٢٠٠٤، ص٢١٦)

المبحث الثالث

دروس مستفادة من التاريخ

أولاً: أهمية الوحدة بين المسلمين (نص موسّع)

تكشف التجربة التاريخية للأندلس بجلاء أن **الوحدة كانت الأساس في استقرار الدولة الإسلامية وازدهارها، وأن الانقسام هو السبب الجوهري في انهيارها**. فقد كانت **الوحدة العقائدية والسياسية والإدارية** خلال العصر الأموي الأندلسي، خصوصًا في ظل حكم **عبد الرحمن**

الناصر لدين الله (٣٠٠–٣٥٠هـ)، تضمن القوة والهيبة والنظام، وتجعل من الدولة الأندلسية كيانًا يصعب كسره أو اختراقه، حتى في مواجهة القوى الأوروبية المتربصة (ابن عذاري، ١٩٩٥، ص٨٧).

وفي هذا السياق، يشير **ابن حيان الأندلسي** إلى أن حكم عبد الرحمن الناصر كان "زمنًا ساد فيه النظام، وتعزز فيه سلطان الخلافة، وانتظمت فيه الولايات، وارتفع فيه اسم الإسلام في الآفاق" (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص١١٤). هذه الوحدة السياسية لم تكن مجرد تنظيم إداري، بل كانت تعبيرًا عن قوة القرار، وفاعلية المؤسسات، وانضباط الجند، وهيبة الحاكم، وانتشار العدل.

ويؤكد **ابن خلدون** أن هذه العناصر متى اجتمعت في أمة، ارتفعت قوتها، وقال: "الدولة إذا اجتمعت كلمتها، أرهبت العدو، وهابها القريب والبعيد، وإذا اختل نظامها وتعدد سلطانها، طمع فيها القاصي والداني" (ابن خلدون، ٢٠٠٥، ص٢٧٣).

ومقابل هذه الصورة المشرقة، كانت **فترة ملوك الطوائف (٤٢٢–٤٧٩هـ)** تعبيرًا عن النقيض التام، إذ تفككت الدولة إلى أكثر من عشرين إمارة، يتنازع أمراؤها على المدن والحدود، ويستعينون بالنصارى ضد بعضهم، ويتنافسون على الولاء للعدو بدلًا من الاتفاق على صدّه (ابن عذاري، ١٩٩٥، ص١٠٩).

بل إن بعض المؤرخين وصف تلك المرحلة بأنها "**تفكك سياسي ممنهج**"، أي أن الانقسام لم يكن طارئًا، بل أصبح سياسة مقصودة، يُراد بها الحفاظ على الحكم الشخصي ولو على حساب وحدة الأمة، وهو ما جعل المسلمين يخسرون ليس فقط الأراضي، بل **هيبة الحكم ومشروعية الوجود** (ابن بسام، ٢٠٠٣، ج٢، ص١٤٧)

وقد نقل **المقري** شهادة بليغة عن أهل الأندلس، تقول: "كنا إذا اتحدنا أرهبنا النصارى، وإذا اختلفنا صرنا لعبتهم، حتى أصبحت مدننا تُؤخذ بسيف بعضنا، ويُسلمها البعض الآخر للعدو بثمن بخس" (المقري، ١٩٦٨، ج٣، ص٧٨)

ويؤكد المؤرخ **السلاوي** في الاستقصا أن من أسباب تفوق النصارى أن "ملكهم واحد، وهدفهم واضح، بينما كان المسلمون ممزقين، وأمراؤهم في صراع لا ينتهي" (السلاوي، ١٩٦٠، ج١، ص٢١٧).

ولم يكن هذا الدرس غائبًا عن معاصري تلك الحقبة، فقد سُجلت خطب ونصوص كثيرة تُنادي بالوحدة، وتستنكر الفرقة، لكن صوت السياسة طغى على صوت الدين والعقل. يقول **ابن العربي** في العواصم من القواصم: "لو اجتمع أمراء الأندلس على كلمة سواء، لما دخلها ألفونسو ولا من

دونه، ولكنهم باعوا أرضهم بأوهام الحكم، فسلّموا المفتاح بأيديهم "(ابن العربي، ٢٠٠٣، ص١٠٩).

ثانيًا: دور العلماء والمصلحين في مواجهة الانقسامات

في الوقت الذي كانت فيه ممالك الطوائف تتناحر فيما بينها، ويتقاسم الحكّام النفوذ وفق المصالح والأهواء، برزت في الأندلس **نخبة من العلماء والفقهاء والأدباء والمصلحين** الذين أدركوا مبكرًا خطورة التمزق والانقسام، وسعوا بكل ما أُتيح لهم من منابر وكتابات إلى **ترميم الجبهة الداخلية، وإيقاظ الضمير العام، والدعوة إلى الوحدة والمصالحة، وتحذير الحكام من الانغماس في الولاء للنصارى.**

لم تكن جهود هؤلاء العلماء تنظيرية فقط، بل كانت نابعة من إحساس عميق بالمسؤولية الشرعية والاجتماعية. فقد رأوا كيف أن **الانهيار السياسي سبقته أزمة أخلاقية وحضارية**، وأن التغاضي عن الفساد، وموالاة الأعداء، وتمزيق صفوف المسلمين، لا يمكن السكوت عنه شرعًا ولا وطنيًا.

مواقف بارزة من العلماء

١.أبو بكر بن العربي (٥٤٣هـ)

من كبار العلماء الذين صرّحوا برفضهم لتحالف ملوك الطوائف مع الممالك المسيحية، حيث وصفهم صراحة بأنهم: *"باعوا دينهم بدنيا غيرهم، وتركوا المساجد وأعانوا على خرابها، وخذلوا العلماء وقتلوا فيهم العزيمة*(ابن العربي، ٢٠٠٣، ص١٠٤).

وقد كتب بن العربي أثناء زيارته للأندلس بعد عودته من المشرق العديد من الرسائل والنصائح للحكام، لكنه قوبل بالتجاهل، بل اتُّهم أحيانًا بالتحريض والتشدد.

٢.أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ)

كان من أبرز علماء عصره في العقيدة والمنطق والفقه المالكي، وقد تنقّل بين مدن الطوائف داعيًا إلى **وحدة الصف الإسلامي ونبذ الخلافات** .إلا أن كثيرًا من الأمراء تجاهلوه، بل حوصر في بعض مدنه، واضطُر إلى مغادرتها (الحميدي، ١٩٦٦، ص١٧٧).

وكان يرى أن **سكوت العلماء هو شهادة زور على الخراب**، لذلك ظل ينصح رغم الرفض والإعراض.

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 1
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

٣.لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)

المؤرخ والسياسي والأديب المعروف، الذي ربط بين **أخلاق الحكام وفساد الحكم**، وكتب في *الإحاطة* يقول: *"كلمة العلماء لم تعد تُسمع، لأن الطبل السياسي طغى على صوت الحكمة، وما عادت النفوس تتقبل النصيحة بعد أن استمرأت الخيانة"* (ابن الخطيب، ٢٠٠٤، ص٢٢٩)

وقد كان شاهدًا على مراحل الانهيار الأخيرة، وتحدث بمرارة عن كيف **تحولت منابر المساجد إلى أماكن للنفاق السياسي بدل الإرشاد.**

٤.ابن عبد البر (٤٦٣هـ)

صاحب *التمهيد* و*الاستذكار*، دعا إلى **التمسك بالوحدة والاجتماع على كلمة الأمة**، وكتب نصوصًا فقهية تدين **الخروج عن الجماعة وتحالف المسلم مع العدو على حساب المسلمين** .

وقال في إحدى فتاواه: *"من مدّ يده للعدو ليرفع بها سيفًا على أخيه، فقد كفر بالرحم والدين"* (ابن عبد البر، ١٩٩٢، ج١، ص٣٣١)

محنة العلماء مع الحكّام

رغم هذه الجهود، إلا أن **العلماء لم يمتلكوا سلطة القرار**، وكانت محاولاتهم غالبًا **تصطدم بإصرار الأمراء على الانفراد بالرأي، ومحاباة الأعداء، وتجاهل الرأي الشرعي** .بل إن بعضهم تعرض للسجن أو النفي أو الإهمال، كما حصل مع ابن الخطيب، الذي نُفي ثم قُتل في ظروف غامضة، وقيل إن خصومه السياسيين من أهل السلطة هم من حرّضوا على التخلص منه (ابن خلدون، ٢٠٠٥، ص٢٧٨)

وذكر **ابن حيان** في أكثر من موضع أن الناس في الأندلس كانت تلجأ إلى العلماء عند اشتداد الأزمات، وتجد عندهم الصراحة والشجاعة والشفافية، لكنهم **لم يكونوا يملكون أدوات التنفيذ، فظلت أقوالهم صوتًا أخلاقيًا يتردد في الفراغ السياسي** (ابن حيان، ٢٠٠٦، ص٢٣٩)

وتحكي المصادر أن أحد خطباء غرناطة صعد المنبر قبل دخول النصارى بقليل، وقال: *"نحن لم نخسر الأندلس اليوم، بل خسرناها يوم صمت العالم، ويوم نُفي الصادق، ويوم تاجر الأمير بدين الأمة "* (المقري، ١٩٦٨، ج٣، ص٨٨)

خاتمة

لقد مثّل التاريخ السياسي للأندلس مرآة صادقة لحالة المسلمين في مراحل القوة والضعف، فحين اجتمعت كلمتهم وتوحّدت صفوفهم، بنوا حضارة راقية، ونظامًا إداريًا متقدمًا، وعلاقات دولية متزنة، جعلت من الأندلس قلعةً علمية واقتصادية وثقافية في الغرب الإسلامي. لكن حين تفرّقوا وتنازعوا وتسلّطت الأهواء والمصالح الشخصية على القرار السياسي، دخلت الدولة الإسلامية هناك في **منعطف خطير انتهى بسقوطها الكامل بعد قرون من المجد.**

لقد أظهر هذا البحث أن **الحروب الداخلية بين ملوك الطوائف** كانت العامل المركزي في تمهيد الطريق للممالك المسيحية نحو استعادة السيطرة على المدن الإسلامية، بدءًا من سقوط طليطلة، مرورًا بالتدخلات العسكرية والسياسية لألفونسو السادس وملوك أراغون، وصولًا إلى الهيمنة الثقافية والإدارية للمسيحيين على ما تبقى من الأندلس. وكانت **التحالفات مع الأعداء، وتفكك الجيوش، وغياب القيادة الواعية، من أبرز مظاهر هذا الانهيار.**

وفي المقابل، سلّط البحث الضوء على الدور الجليل الذي أدّاه **العلماء والمصلحون في محاولاتهم إنقاذ الأندلس من الهلاك**، رغم محدودية تأثيرهم في ظل استبداد السلاطين وتجاهل النصيحة، وهو ما يجعلنا ندرك أن الكلمة الصادقة وحدها لا تكفي، ما لم تلتزم بها القيادة وتحترمها السلطة.

وتكمن أهمية هذا الموضوع ليس فقط في دراسته لمرحلة تاريخية خطيرة، بل في **ما يقدمه من عبرة للأمة الإسلامية المعاصرة**، التي لا تزال تعاني في كثير من أقطارها من مظاهر التشرذم والانقسام والتنازع على السلطة. فالأندلس ليست مجرد تجربة ماضية، بل نموذج قابل للتكرار إذا لم تُحصّن الأمة وحدتها، وتُغلب المصلحة العامة، وتُقدّر العلماء، وتُحسن قراءة سنن التاريخ.

وفي ضوء ما تقدم، يمكن القول إن:

- **الوحدة الإسلامية ليست خيارًا، بل ضرورة وجودية.**
- **الانقسام الداخلي أخطر من الهجوم الخارجي.**
- **العلماء والمصلحون هم صمّام الأمان الفكري والمعنوي، شرط أن يُنصَت إليهم.**
- **التاريخ لا يرحم المتخاذلين، ويُعيد دروسه لمن لم يتعلم.**

ومن هنا، فإن الأندلس لا تزال حاضرة في الذاكرة الإسلامية، لا فقط كفردوس مفقود، بل كرسالة دائمة :**أن الأمم لا تنهار فجأة، وإنما تُنهك من داخلها أولًا، قبل أن تسقط بيد عدوها.**

نتائج البحث

١.**ضعف الوحدة السياسية والعسكرية**:أظهرت الحروب الداخلية بين ملوك الطوائف أن الانقسام السياسي والتناحر على السلطة كان العامل الرئيس في فقدان الأندلس قوتها، إذ أدى إلى تفكك الجيوش وانهيار البنية الدفاعية أمام الهجمات المسيحية المتتالية.

٢.**تحوّل بعض ملوك الطوائف إلى أدوات بيد المسيحيين**: أكدت الدراسة أن عدداً من أمراء الطوائف ارتبطوا بتحالفات مع الممالك المسيحية، حتى صاروا يقدمون الجزية ويطلبون العون العسكري ضد إخوانهم المسلمين، الأمر الذي عزز من نفوذ القشتاليين والبرغونيين على حساب السيادة الإسلامية.

٣.**تآكل الشرعية السياسية للحكام**: بينت النتائج أن هذه التحالفات أضعفت مكانة ملوك الطوائف في نظر شعوبهم، إذ نظر العامة إليهم كخونة ومتواطئين، مما ولّد مقاومة شعبية وحركات رفض في الأطراف، وأدى إلى فقدان الثقة بالحكم المركزي.

٤.**التدخل الأجنبي المباشر**: برهنت الوقائع أن الممالك المسيحية لم تكتفِ بتلقي الجزية أو التحالفات، بل تدخلت مباشرة في شؤون الطوائف، ففرضت شروطاً للتحالف، وحددت من يحق له حكم بعض المدن، مما جعل القرار السياسي للأندلس رهينة القوى الأجنبية.

٥.**تداعيات اجتماعية واقتصادية عميقة**: أظهرت الحروب الداخلية أنها لم تكن مجرد صراع سياسي، بل تركت آثاراً اقتصادية واجتماعية خطيرة، حيث استُنزفت موارد المسلمين لصالح دفع الجزية وتمويل الحروب، وتعرضت المجتمعات للتفكك والانقسام، وفقد الناس الشعور بالأمان والاستقرار.

٦.**التمهيد للسقوط النهائي**: خلص البحث إلى أن هذه الحروب والانقسامات الداخلية لم تكن مجرد أحداث عابرة، بل كانت السبب الحاسم في انهيار الدولة الإسلامية في الأندلس، إذ هيأت الظروف لسيطرة الممالك المسيحية وتقدّمها خطوة بعد أخرى، حتى انتهى الأمر بسقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م.

قائمة المصادر والمراجع

١.**ابن الأبار، محمد بن عبد الله (توفي ٦٥٨هـ)** *الحلة السيراء في أخبار أعلام الأندلس من الوزراء* .تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

٢.**ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (توفي ٦٣٠هـ)** *الكامل في التاريخ* .بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

٣.**ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (توفي ٧٧٦هـ)** *الإحاطة في أخبار غرناطة* .تحقيق: محمد عبد الله عنان. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤م.

٤.**ابن العربي، أبو بكر بن العربي المعافري (توفي ٥٤٣هـ)** *العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه واله وسلم* .تحقيق: محب الدين الخطيب. القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٣م.

٥.**ابن بسام، أحمد بن محمد الشنتريني (توفي ٥٤٢هـ)** *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة* .تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، ٢٠٠٣م.

٦.**ابن بلقين، عبد الله بن بلقين الزيري (توفي بعد ٤٨٣هـ)** *التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة* .بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م.

٧.**ابن حيان، محمد بن أحمد القرطبي (توفي ٤٦٩هـ)** *المقتبس من أنباء أهل الأندلس* .بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م.

٨.**ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (توفي ٨٠٨هـ)** *المقدمة* .بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٥م.

٩.**ابن خلكان، أحمد بن محمد (توفي ٦٨١هـ)** *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* .بيروت: دار صادر، ١٩٧٢م.

١٠.**ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري (توفي ٤٦٣هـ)** *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد* . تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي. الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٢م.

١١.**ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي (توفي أوائل القرن ٨هـ)** *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥م.

١٢.**الحميدي، محمد بن فتح بن حيان الأندلسي (توفي ٤٨٨هـ)** *جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس* . بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٦م.

١٣.**الحميري، محمد بن عبد المنعم.** (١٩٩٨)الروض المعطار في خبر الأقطار .بيروت: دار الكتب العلمية، ص. ٣٣٢.

١٤.**الزركلي، خير الدين**. (٢٠٠٢ .) الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .بيروت: دار العلم للملايين.

١٥.**السلاوي، أحمد بن خالد الناصري (توفي ١٣١٥هـ)** *الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى* .القاهرة: دار الكتاب، ١٩٦٠م.

١٦.**عبد الواحد، محمد**. (١٩٨٤) .تاريخ الأندلس السياسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة .القاهرة: دار المعارف، ص. ١٢١.

١٧.**عنان، محمد عبد الله**. (١٩٩٧) .دولة الإسلام في الأندلس .ج٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، ص. ٢٣٣.

١٨.**القلقشندي، أحمد بن علي (توفي ٨٢١هـ)** *صبح الأعشى في صناعة الإنشا* .القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٣م.

١٩.**كولان، هنري**. (١٩٩٢) الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة .بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص. ٩٤.

٢٠.**ليفي بروفنسال، إيف**. (١٩٦٥)تاريخ إسبانيا الإسلامية .ترجمة: عبد الحميد السيد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص. ١٨٧.

٢١.**المقري، أحمد بن محمد التلمساني (توفي ١٠٤١هـ)** *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب* .تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.

The Internal Wars of the Muslims and Their Impact on the Disintegration of National Unity in Andalusia during the Era of the Taifa Rulers.

Ibn al-Abbar, Muhammad ibn Abdullah (died 658 AH) Al-Hulla al-Sira’ fi Akhbar A’lam al-Andalus min al-Wuzara’, edited by: Hussein Mu’nis Cairo: The Egyptian General Book Authority, 1995 AD.

Ibn al-Athir, Izz al-Din Ali ibn Muhammad, died 630 AH (Al-Kamil fi al-Tarikh, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi 1997 CE

Ibn al-Khatib, Lisan al-Din Muhammad ibn Abdullah (d. 776 AH), Al-Ihata fi Akhbar Gharnata, edited by Muhammad Abdullah Anan, Cairo: Dar al-Ma'arif, 2004 CE

Ibn al-Arabi, Abu Bakr ibn al-Arabi al-Ma'afiri (d. 543 AH), Al-'Awasim min al-Qawasim fi Tahqiq Mawaqif al-Sahaba ba'd Wafat al-Nabi, may God bless him and

grant him peace, edited by Muhibb al-Din al-Khatib, Cairo: Maktabat Wahba, 2003 CE

H. Ibn Bassam, Ahmad ibn Muhammad al-Shantarini (died (542 AH) Al-Dhakhira fi Mahasin Ahl al-Jazira, edited by: Ihsan Abbas. Beirut: Dar al-Thaqafa, 2003 AD

Ibn Buluggin Abdullah Ibn Buluggin Al-Ziri (died after (483 AH) Al-Tibyan 'an Al-Haditha Al-Ka'ina bi-Dawlat Bani Ziri fi Gharnata Beirut: Dar Al-Fikr, 1981 AD

Ibn Hayyan, Muhammad ibn Ahmad al-Qurtubi (died 469 AH) Excerpted from Anba' Ahl al-Andalus Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 2006 AD

Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad, died (808 AH). The Muqaddimah - Beirut: Dar al-Fikr, 2005 AD

Ibn Khallikan, Ahmad ibn Muhammad, died 181 AH. Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman. Beirut: Dar Sader, 1972

Ibn Abd al-Barr, Yusuf ibn Abd Allah al-Namri (d. 463 AH) Al-Tamhid lima fi al-Muwatta' min al-Ma'ani wa al-Asanid Edited by

Mustafa ibn Ahmad al-Alawi. Rabat: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1992 CE

Ibn 'Idhari, Ahmad ibn Muhammad al-Marrakushi (died early 10th century AH) Al-Bayan al-Maghrib fi Akhbar al-Andalus wa'l-Maghrib

Edited by Bashar 'Awad Ma'ruf Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1995 CE

Al-Hamidi, Muhammad ibn Fath ibn Hayyan al-Andalusi (d. 488 AH). Jadhwat al-Muqtabis fi Dhikr Ulama' al-Andalus. Beirut: Dar al-Thaqafa, 1966 CE

Al-Himyarī, Muḥammad ibn ʿAbd al-Munʿim (1998) Al-Rawḍ al-Muʿṭar fī Khayr al-Aqṭar Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, p232.

Al-Zarkali, Khair Al-Din. (2002). Al-A'lam: A Biographical Dictionary of the Most Famous Men and Women from the Arabs, Arabized People and Orientalists. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin

Al-Salawi, Ahmad ibn Khalid al-Nasiri (d. 1315 AH). Al-Istiqsa' al-Akhbar Duwal al-Maghrib al-Aqsa. Cairo: Dar al-Kitab, 1960 AD

Anan, Muhammad Abdullah (1997) The Islamic State in Andalusia... Cairo: Al-Khanji Library, p. 233

Al-Qalqashandi, Ahmad ibn Ali (d. 821 AH). Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha. Cairo: Al-Matba'ah al-Amiriyah

Colin Henry (1992) Andalusia from the Conquest to the Fall of Granada Beirut: University Foundation for Studies and Publishing

Lévi-Provençal, Yves (1965) History of Islamic Spain, translated by Abd al-Hamid al-Sayyid, Cairo: Egyptian Renaissance Library, p. 187

al-Maqqari, Ahmad ibn Muhammad al-Tilimsani (d. 1041 AH). Nafh al-Tayyib min Ghusn al-Andalus al-Ratib, edited by Ihsan Abbas, Beirut: Dar Sader, 1968.